

لطائف المعارف

المجلس الثاني في ذكر المولد أيضا .

خرج مسلم في صحيحه [من حديث أبي قتادة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الإثنين فقال : ذاك يوم ولد فيه و أنزلت علي فيه النبوة] أما ولادة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين فكالجميع عليه بين العلماء و قد قاله ابن عباس وغيره و قد حكى عن بعضهم أنه ولد يوم الجمعة و هو قول ساقط مردود و روي عن أبي جعفر الباقر : أنه توقف في ذلك و قال : لا يعلم ذلك إلا الله و إنما قال هذا لأنه لم يبلغه في ذلك ما يعتمد عليه فوقف تورعا و أما الجمهور فبلغهم في ذلك ما قالوا بحسبه : و قد روي عن أبي جعفر أيضا موافقتهم و أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين موافقة لما قاله سائر العلماء و حديث أبي قتادة يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا في يوم الإثنين و قد روي : أنه ولد عند طلوع الفجر منه و روى أبو جعفر بن أبي شعبة في تاريخه و خرجه من طريقه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كان بمر الظهران راهب يدعى عيص من أهل الشام و كان يقول : يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب و يملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود إلا سأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيص فناداه فأشرف عليه فقال له عيص : كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الإثنين و يبعث يوم الإثنين و يموت يوم الإثنين قال : إنه ولد لي مع الصبح مولود قال : فما سميته ؟ قال : محمدا قال : و الله لقد كنت أشتي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه فقد أتى عليهن منها أنه طلع نجمه البارحة و أنه ولد اليوم و أن اسمه محمد انطلق إليه فإنه الذي كنت أحدثكم عنه .

و قد روي ما يدل على أنه ولد ليلا و قد سبق في المجلس الذي قبله من الآثار ما يستدل به لذلك و في صحيح الحاكم [عن عائشة قالت : كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا : لا نعلمه فقال : ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا : أخرجي إلينا ابنك فأخرجته و كشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا : ويلك ما لك ؟ قال : ذهبت و الله النبوة من بني إسرائيل] و هذا الحديث يدل على أنه ولد بخاتم النبوة بين كتفيه .

و خاتم النبوة : من علامات نبوته التي كان يعرفه بها أهل الكتاب و يسألون عنها و يطلبون الوقوف عليها و قد روي : أن هرقل بعث إلى النبي بتبوك من ينظر له خاتم النبوة ثم يخبره عنه و قد روي [من حديث أبي ذر و عتبة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه و سلم : أن الملكين اللذين شقا صدره و ملآه حكمة هما اللذان ختماه بخاتم النبوة] و هذا يخالف حديث عائشة هذا و قد روي أن هذا الخاتم رفع بعد موته من بين كتفيه و لكن إسناد هذا الخبر ضعيف .

و قد روي في صفة ولادته آيات تستغرب فمناها : روي [عن آمنة بنت وهب أنها قالت : وضعته فما وقع كما وقع الصبيان وقع واضعا يده على الأرض رافعا رأسه إلى السماء] و روي أيضا : [أنه قبض من التراب بيده لما وقع بالأرض] فقال بعض القافة : إن صدق الفال ليغلبن أهل الأرض و روي : [أنه وضع تحت جفنة فانفلقت عنه و وجدوه ينظر إلى السماء] .

و اختلفت الروايات هل ولد مختونا ؟ ! فروي : [أنه ولد مختونا مسرورا] يعني مقطوع السرة حتى قال الحاكم : تواترت الروايات بذلك و روي أن جده ختنه و توقف الإمام أحمد في ذلك قال المروزي : سئل أبو عبد الله هل ولد النبي صلى الله عليه و سلم مختونا ؟ قال : لا أعلم ثم قال : لا أدري قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا : قد روي : [أنه صلى الله عليه و سلم ولد مختونا مسرورا] و لم يجترء أبو عبد الله على تصحيح هذا الحديث .

و أما شهر ولادته فقد اختلف فيه : : فقيل : في شهر رمضان روي عن عبد الله بن عمرو بإسناد لا يصح و قيل : في رجب و لا يصح و قيل : في ربيع الأول و هو المشهور بين الناس حتى نقل ابن الجوزي و غيره عليه الإتفاق و لكنه قول جمهور العلماء ثم اختلفوا في أي يوم كان من الشهر : فمنهم من قال : هو غير معين و إنما ولد في يوم الإثنين من ربيع من غير تعيين لعدد ذلك اليوم من الشهر و الجمهور على أنه يوم معين منه ثم اختلفوا فقيل : لليلتين خلتا منه و قيل : لثمان خلت منه و قيل : لعشر و قيل : لاثنتي عشرة و قيل : لسبع عشرة و قيل : لثماني عشرة و قيل لثمان بقين منه و قيل : إن هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية و المشهور الذي عليه الجمهور : أنه ولد يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول و هو قول ابن إسحاق و غيره .

و أما عام ولادته فالأكثر على أنه عام الفيل و ممن قال ذلك : قيس بن مخرمة و قبات بن أشيم و ابن عباس و روي عنه : أنه ولد يوم الفيل و قيل : إن هذه الرواية وهم إنما الصحيح عنه أنه قال : عام الفيل و من العلماء من حكى الإتفاق على ذلك و قال : كل قول يخالفه وهم و المشهور أنه صلى الله عليه و سلم ولد بعد الفيل بخمسين يوما و قيل : بعده خمس و خمسين يوما و قيل : بشهر و قيل : بأربعين يوما و قد قيل : إنه ولد بعد الفيل بعشر سنين و قيل : بثلاث و عشرين سنة و قيل : بأربعين سنة و قيل : قبل الفيل بخمسة عشرة

سنة و هذه الأقوال وهم عند جمهور العلماء و منها لا يصح عن حكى عنه قال إبراهيم بن المنذر الحزامي : الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل و قال خليفة بن خياط : هذا هو المجمع عليه و كانت قصة الفيل توطئة لنبوته و تقدمه لظهوره و بعثته و قد قص الله ذلك في كتابه فقال : { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * و أرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول } فقلوه : { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل } استفهام تقرير لمن سمع هذا الخطاب و هذا يدل على اشتهار ذلك بينهم و معرفتهم به و أنه مما لا يخفى علمه عن العرب خصوصا قريشا و أهل مكة و هذا أمر اشتهر بينهم و تعارفوه و قالوا فيه الأشعار السائرة و قد قالت عائشة : رأيت قائد الفيل و سائسه بمكة أعميين يستطعمان و في هذه القصة ما يدل على تعظيم مكة و احترامها و احترام بيت الله الذي فيها ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عقب ذلك تدل على نبوته و رسالته فإنه صلى الله عليه وسلم بعث بتعظيم هذا البيت و حجه و الصلاة إليه فكان هذا البلد هو موطنه و مولده فاضطره قومه عند دعوتهم إلى الله تعالى إلى الخروج منه كرها بما نالوه به من الأذى ثم إن الله تعالى طفره بهم و أدخله عليهم قهرا فملك البلد عنوة و ملك رقاب أهله ثم من عليهم و أطلقهم و عفا عنهم فكان في تسليط نبيه صلى الله عليه وسلم على هذا البلد و تملكه إياه و لأمته من بعده ما دل على صحة نبوته فإن الله حبس عنه من يريد بالأذى و أهلكه ثم سلط عليه رسوله و أمته كما قال صلى الله عليه وسلم : [إن الله حبس عن مكة الفيل و سلط عليها رسوله و المؤمنين] فإن الرسول صلى الله عليه وسلم و أمته إنما كان قصدهم تعظيم البيت و تكريمه و احترامه و لهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليه و سلم يوم الفتح على من قال : اليوم تستحل الكعبة و قال : [اليوم تعظم الكعبة] و قد كان أهل الجاهلية غيروا دين إبراهيم و إسماعيل بما ابتدعوه من الشرك و تغيير بعض مناسك الحج فسلط الله رسوله و أمته على مكة فطهروها من ذلك كله و ردوا الأمر إلى دين إبراهيم الحنيف و هو الذي دعا لهم مع ابنه إسماعيل عند بناء البيت أن يبعث فيهم رسولا منهم عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل بهذه الصفة فطهر البيت و ما حوله من الشرك و رد الأمر إلى دين إبراهيم الحنيف و التوحيد الذي لأجله بني البيت كما قال الله تعالى : { و إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا و طهر بيتي للطائفين و القائمين و الركع السجود } .

و أما تسليط القرامطة على البيت بعد ذلك فإنما كان عقوبة بسبب ذنوب الناس و لم يصلوا إلى هدمه و نقضه و منع الناس عن حجه و زيارته كما كان يفعل أصحاب الفيل لو قدروا على هدمه و صرف الناس عن حجه و القرامطة أخذوا الحجر و الباب و قتلوا الحجاج و سلبوهم

أموالهم و لم يتمكنوا من منع الناس من حجة بالكلية و لا قدروا على هدمه بالكلية كما كان أصحاب الفيل يقصدونه ثم أذلهم ﷺ بعد ذلك و خذلهم و هتك أستارهم و كشف أسرارهم و البيت المعظم باق على حاله من التعظيم و الزيارة و الحج و الإعتمار و الصلاة إليه لم يبطل شيء من ذلك عنه بحمد ﷺ و منه و غاية أمرهم أنهم أخافوا حج العراق حتى انقطعوا بعض السنين ثم عادوا و لم يزل ﷺ يمتحن عباده المؤمنين بما يشاء من المحن و لكن دينه قائم محفوظ لا يزال تقوم به أمة من أمة محمد صلى ﷺ عليه و سلم لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر ﷺ و هم على ذلك كما قال تعالى : { يريدون أن يطفئوا نور ﷺ بأفواههم و يأبى ﷺ إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون * } هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون { و قد أخبر النبي صلى ﷺ عليه و سلم أن هذا البيت يحج و يعتمر بعد خروج يأجوج و مأجوج و لا يزال كذلك حتى تخربه الحبشة و يلقون حجارته في البحر و ذلك بعد أن يبعث ﷺ ريحا طيبة تقبض أرواح المؤمنين كلهم فلا يبقى على الأرض مؤمن و يسرى بالقرآن من الصدور و المصاحف فلا يبقى في الأرض قرآن و لا إيمان و لا شيء من الخير فبعد ذلك تقوم الساعة و لا تقوم إلا على شرار الناس .

و قوله صلى ﷺ عليه و سلم : [و يوم أنزلت علي فيه النبوة] يعني أنه صلى ﷺ عليه و سلم نبء يوم الإثنين و في المسند عن ابن عباس قال : ولد النبي صلى ﷺ عليه و سلم يوم الإثنين و استنبد يوم الإثنين و خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الإثنين و دخل المدينة يوم الإثنين و توفي يوم الإثنين و رفع الحجر الأسود يوم الإثنين و ذكر ابن إسحاق : أن النبوة نزلت يوم الجمعة و حديث أبي قتادة يرد هذا و اختلفوا : في أي شهر كان ابتداء النبوة ؟ فقيل : في رمضان و قيل : في رجب و لا يصح و قيل في ربيع الأول و قيل : إنه نبء يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول .

و أما الإسراء فقيل كان في رجب و ضعفه غير واحد و قيل : كان في ربيع الأول و هو قول إبراهيم الحربي و غيره و أما دخول المدينة و وفاته : فكانا في ربيع الأول بغير خلاف مع اختلاف في تعيين ذلك اليوم من أيام الشهر و في قول النبي صلى ﷺ عليه و سلم لما سئل عن صيام يوم الإثنين ؟ : [ذاك يوم ولدت فيه و أنزلت علي فيه النبوة] إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم ﷺ على عباده فإن أعظم نعم ﷺ على هذه الأمة إظهار محمد صلى ﷺ عليه و سلم لهم و بعثته و إرساله إليهم كما قال تعالى : { لقد من ﷺ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم { فإن النعمة على الأمة : بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء و الأرض و الشمس و القمر و الرياح و الليل و النهار و إنزال المطر و إخراج النبات و غير ذلك فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بني آدم كفروا بـ ﷺ و برسله و بلقائه فبدلوا نعمة ﷺ كفرا فأما النعمة بإرسال محمد صلى ﷺ عليه و سلم فإن

بها تمت مصالح الدنيا و الآخرة و كمل بسببها دين الله الذي رضىه لعباده و كان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم و آخرتهم فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل و هو من باب مقابلة النعم في أوقات تجدها بالشكر و نظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحا من الغرق و نجى فيه موسى و قومه من فرعون و جنوده و أغرقهم في اليم فصامه نوح و موسى شكرا لله فصامه رسول الله صلى الله عليه و سلم متابعة لأنبياء الله و قال لليهود : [نحن أحق بموسى منكم] و صامه و أمر بصيامه .

و قد روي أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يتحرى صيام يوم الإثنين و يوم الخميس روي ذلك عنه [من حديث عائشة و أبي هريرة و أسامة بن زيد و في حديث أسامة : أنه سأله عن ذلك ؟ فقال : إنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين فأحب أن يعرض عملي و أنا صائم] و [في حديث أبي هريرة أنه سئل عن ذلك ؟ فقال : إنه يغفر فيهما لكل مسلم إلا مهتجرين يقول دعهما حتى يصطلحا] و في صحيح مسلم [عن أبي هريرة مرفوعا : تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين و الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله إلا رجل كانت بينه و بين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا] و يروى [من حديث أبي أمامة مرفوعا : ترفع الأعمال يوم الإثنين و الخميس فيغفر للمستغفرين و يترك أهل الحقد كما هو] و في المسند [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم : أن أعمال بني آدم تعرض علي كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم] كان بعض التابعين يبكي إلى امرأته يوم الخميس و تبكي إليه و يقول : اليوم تعرض أعمالنا على الله عز و جل يا من يبهج بعلمه على من تبهج و الناقد بصير يا من يسوف بتطويل أمله إلى كم تسوف و العمر قصير .

(صروف الحنف مترعة الكؤوس ... تدور على الرعايا و الرؤوس) .

(فلا تتبع هواك فكل شخص ... يصير إلى بلى و إلى دروس) .

(و خف من هول يوم قمطرير ... تخوف شره ضحك عبوس) .

(فمالك غير تقوى الله زاد ... و فعلك حين تقبر من أنيس) .

(فحسنه ليعرض مستقيما ... ففي الإثنين يعرض و الخميس)